ثامنا : التحديات الاجتماعية لتخطيط التنمية.
دراسة(*) مقارنة على نماذج من المجتمعات المحلية المخططة فى بعض الدول الأفريقية .

موضوع هذه الدراسة يتحدد فى أن أفدح الأخطاء التى تقع فيها المجتمعات النامية Developed Countries تتمثل فى نقل النماذج الثقافية الدخلية والغريبة والمغايرة لثقافتها وواقعها الاجتماعى – الاقتصادى Socio-Economic Reality والتى نجحت فعلا فى تنمية وتقدم مشروعات التنمية فى مجتمعاتها الأصلية الخالقة والمبتكرة لهذه النماذج التنموية Developmental models . ولقد كان الاتجاه السائد لدى معظم المهتمين والمتخصصين فى قضايا التنمية والتخطيط أن النظم والأنساق والأبنية الاجتماعية فى المجتمعات المتخلفة متخلفة بالضرورة، وأن تلك المجتمعات إذا أرادت أن تتقدم وتنمو فلا بديل أمام قادتها من طريق سوى محاكاة النماذج الغربية . وفى مواجهة هذا الاتجاه نشأ اتجاه آخر ينادى بأن من المفروض على المجتمعات النامية عندما تنقل نموذجاً تنموياً من أى مجتمع متقدم أن تخلصه من واقعه الثقافى للمجتمع المنقول إليه ، أو أن تبتكر تلك المجتمعات نماذج للتنمية نابعة أساساً من واقعها الاجتماعى – الاقتصادى ولقد بنى هذا الاتجاه دعائمه وأسسه من منطلق إحترام الصيغ الثقافية لهذه المجتمعات النامية .

ولقد كانت محصلة تلك الاتجاهات المتباينة ، والمحاولات المتواصلة

(*) قدم هذه الدراسة الباحث/ محمد صلاح عبد المجيد بسيونى للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب من قسم الانثروبولوجيا كلية الاداب/ جامعة الاسكندرية فى ديسمبر ١٩٧٧ ، وأشرف على هذه الدراسة الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد رئيس قسم الأنثروبولوجيا وعميد الكلية، وإشترك فى مناقشتها الأستاذ الدكتور عبد المنعم شوقى رئيس قسم الاجتماع، وعميد كلية الآداب/ جامعة المنيا، والأستاذ الدكتور عبد الباسط محمد حسن رئيس قسم الاجتماع ووكيل كلية البنات الإسلامية / جامعة الأزهر .

فى حقل التنمية الدعوة للبحث عن التحديات الاجتماعية Social Challenges التى تناهض تجارب ومشروعات التنمية حيث لم يعد الأمر قاصراً على العقبات الاقتصادية أو المعوقات الإيكولوجية السائدة فى هذه المجتمعات ، وإنما ظهر إلى حيز الوجود ما هو أخطر وأفدح من ذلك ونقصد التحديات الاجتماعية التى تقف وراء فشل معظم مشروعات التنمية . وهذا هو محور الدراسة نعرض له بالتحليل والمناقشة . ولكى تتضح الصورة أكثر فقد تعرض الباحث لتجربة تهجير أهالى النوبة من موطنهم الأصلى على ضفاف نيل مصر إلى النوبة الجديدة وذلك بسبب إنشاء السد العالى . كذلك مشروعات المجتمعات المحلية المخططة فى أفريقيا مثل مشروع الإنشا بشمال نيجيريا ، والكاميرون ، ومشروع الزاندى بالسودان ، وماد نجو بالكنغو كينشاسا ، ووادى نهر النيجر بالنيجر ، ومشروع تهجير سكان وادى التونجا برو ديسيا ، ومشروع ناشنجاوا بتنزانيا ، وقد تناول الباحث هذه التجارب التنموية بصورة سريعة وموجزة . ولكنه أفاض فى تجربة غانا وركز على مشروع سد الفولتا ، وعمليات التهجير والمجتمعات المحلية المخططة التى نجمت عن تنفيذه . أى أن البحث يقارن بين تجربة غانا من الناحية النظرية ، وتجربة تهجير المجتمع النوبى من خلال الدراسة التطبيقية التى قام بها والتى أفرد الباحث لها الباب الثانى من أبواب دراسته .

ونأتى بعد ذلك إلى **صياغة مشكلة البحث** فنرى أن موضوع البحث : « التحديات الاجتماعية لتخطيط التنمية » **يثير تساؤلين أساسيين ، الأول** : هل سيتناول الباحث التحديات الناجمة عن تطبيق مشروعات التنمية؟ **والثانى** : أم أن تناوله سيكون عن التحديات التى يجب أخذها فى الإعتبار عند تنفيذ مشروعات التنمية فى المجتمعات المحلية المخططة؟ ومن خلال قراءة وتتبع الأفكار الموجودة بالدراسة نجد أن الصياغة السليمة التى يقصدها الباحث تتمثل فى التحديات التى تعيق عمليات ومشروعات التنمية فى الوصول إلى أهدافها . أو هى إجابة على التساؤل : **لماذا تفشل مشروعات التنمية فى المجتمعات النامية** ؟ إن الباحث يريد التأكيد على أن ذلك راجع أساساً إلى أن هناك مجموعة من التحديات الاجتماعية وهى إما تحديات نابعة من البناء الاجتماعى السائد أى من أفراد المجتمع

أنفسهم (نسق القيم ، والاتجاهات السائدة ، والمعتقدات الدينية الخاطئة والقوى الغيبية ، والاختلافات العرقية ، والتفاوتات اللغوية ، والتدرج الاجتماعي ، والخلل الديموجرافي ، وشيوع الأمية ، وقصور المعرفة التكنولوجية). أو تحديات اجتماعية نابعة من النماذج التخطيطية وهي تحديات يمكن القول أن المسئول عنها متخذي القرار وصانعي السياسة في الدول النامية .

لم لماذا يكون لمشكلة البحث عنوان فرعي ؟ إن صياغة موضوع البحث من وجهة نظرنا كان يجب أن تكون التحديات الاجتماعية لتنمية المجتمعات المحلية المخططة في بعض الدول الإفريقية » إذ أن الإشارة كما جاء في عنوان البحث « لتخطيط التنمية » ليس لها مكان في هذه الدراسة ، وذلك إذا اتفقنا على أن مفهوم التنمية The concept of development يتضمن التدخل الإرادي أي التخطيط . وما لنا نبعد كثيراً إذا كان الباحث نفسه في مواضع كثيرة من دراسته قد أشار إلى ذلك، وبخاصة في الصفحات ١٦ ، ١٧ حيث يشير إلى أن التنمية تعني تلك التغيرات الاجتماعية المخططة (آخر صفحة ١٦) وبالتالي فإن الإشارة في العنوان الذي نقترحه « لتنمية » تتضمن في نفس الوقت عنصر التخطيط . أما لماذا تركنا في العنوان المقترح « المجتمعات المحلية المخططة » ؟ ذلك لأن الباحث يعني تلك المجتمعات التي خطط لها ، وتبع ذلك هجرة السكان إليها مثل مجتمع النوبة الجديد في مصر ، والقرى المخططة في غانا.

والدراسة التي بين أيدينا من النوع الإمبيريقي حيث نجد أن الباحث لم يتبن اتجاهاً نظرياً محدداً ، أو لم يلتزم بنظرية سواء مثالية أو مادية توجهه ويفسر بها نتائج بحثه .

ولقد حدد الباحث بناء على صياغته لمشكلة بحثه أهداف أربعة تسعى الدراسة لتحقيقها . الهدف الأول هو التعرف على مكانة الجوانب الاجتماعية والعوامل الثقافية في التخطيط لمشروعات التنمية وفاعليتها باعتبارها متغيراً أساسياً في هذه المشروعات ، الهدف الثاني هو إبراز دور الأنثروبولوجيا التطبيقية بخاصة ، والانثربولوجيا الاجتماعية بعامة في ترشيد التخطيط للتنمية

فى بلدان العالم الثالث ، ومدى ملاءمة هذا المدخل البنائى المتكامل ، الذى يظهر التفاعل والتداخل والإعتماد المتبادل بين النظم والعلاقات الاجتماعية القائمة للإسهام فى تشكيل خطط التنمية واختيار مشروعاتها وتوجيه سياساتها بما يتواءم مع الواقع الاجتماعى ، ويتسق مع العوامل الثقافية السائدة . **أما الهدف الثالث** فهو تحليل التغير البنائى الذى يحدث فى ظل مشروعات التنمية ، وبعبارة أخرى تحليل الصراع والتفاعل بين البناء الاجتماعى التقليدى من جانب ، والنموذج التنموى الذى تم تنفيذه بالفعل من جانب آخر . ثم يأتى **الهدف الرابع** محاولا الكشف عن التحديات الاجتماعية والثقافية التى تجابه مشروعات التنمية .

ولقد حاولت الدراسة قدر إستطاعتها معالجة هذه الأهداف الأربعة الأساسية من خلال بابين يتضمنان ثمانية **فصول** ، **يتناول الباب الأول** : الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتحديات التنمية : « تأصيل نظرى مع الإشارة إلى أفريقيا » ، وقد إشتمل هذا الباب على ثلاثة **فصول** . بدأ **الفصل الأول** بمناقشة المفهومات الخاصة بقضايا التخلف والتنمية والتخطيط . ثم تحليل العلاقة بين الأنثروبولوجيا والتنمية ، وكيفية الإستفادة من ذلك المدخل البنائى فى ترشيد تخطيط التنمية . بينما تصدى **الفصل الثانى** لتحليل التحديات الاجتماعية التى تجابه مشروعات التنمية ، ممهداً بتعريف إجرائى للمقصود بالتحديات الاجتماعية ، ومفرقاً بينها وبين العقبات الاقتصادية من ناحية ، والمعوقات الإيكولوجية من ناحية أخرى ، ثم قسمت التحديات إلى نمطين : إما تحديات نابعة من البناء الاجتماعى السائد ، وإما نابعة من النماذج التخطيطية للتنمية ، ثم خصص **الفصل الثالث** لمناقشة وتحليل عدد من مشروعات المجتمعات المحلية المخططة وتحدياتها فى قارة أفريقيا .

أما الباب الثانى فقد أفرده الباحث للدراسة الميدانية لمشروع النوبة الجديدة فى مصر ؛ وإشتمل على خمسة **فصول** . بدأت **بالفصل الرابع** الذى تناول الإطار المنهجى للدراسة الحقلية باعتباره مدخلا للجانب الميدانى ، وعرض **الفصل الخامس** للخصائص الثقافية والاقتصادية والإيكولوجية المميزة

للمجتمع النوبى وملابسات تهجيره من موطنه الأصلى ، ثم بدأ **الفصل السادس** بإختبار الفرض الأول للكشف عن عواقب الإنفصال بين النموذج التخطيطى والواقع الثقافى والإيكولوجى للمجتمع النوبى الذى كان سائداً قبل التهجير فى النوبة الأصلية . **أما الفصل السابع** فقد أفرده الباحث لتحليل التغير البنائى وصراع الأجيال بالنوبة الجديدة ، ودار حول إختبار الفرض الثانى من فروض الدراسة الحقلية . **أما الفصل الثامن** والأخير فقد خصص لمناقشة نتائج وإسهامات الدراسة من خلال المقـارنة بين كل من مشروعى الفولتا بغانا ، والنوبة بمصر .

ومن خلال عرضنا لأهداف الدراسة الأربعة ، ومحتويات أبوابها وفصولها نجد أن القائم بهذه الدراسة قد حدد أهدافه بصورة واضحة ، وإن كنا نأخذ عليه أنه دائم الإشارة إلى التحديات الاجتماعية **والثقافية** . **ونتساءل !! لماذا الثقافية ؟ ولماذا لا تكون الاجتماعية باعتبار أن العوامل الثقافية تندرج تحت العوامل الاجتماعية** ؟ وبخاصة وأن الدراسة ، فى فصلها الثانى ، قد حددت ما هو المقصود بالتحديات الاجتماعية التى لا نجد من بينها أى تحد ثقافى اللهم إلا إذا كان الباحث يعتبر أن الاختلافات العرقية واللغوية ، والأمية وقصور المعرفة التكنولوجية هى تحديات ثقافية .

ولقد حاولت الدراسة تحقيق أهدافها الأربعة وذلك من خلال **فرضين** أساسيين ، وهما :

الفرض الأول : أن هناك إرتباطا طرديا بين إنفصال نموذج تخطيط التنمية عن الواقع الاجتماعى والثقافى القائم ، وبين مناهضة أعضاء المجتمع لمشروعات التنمية والحد من فاعليتها .

الفرض الثانى : أن هناك إرتباطا إيجابيا بين تهجير المجتمع النوبى إلى الموطن الجديد ، وبين حدوث تغير بنائى عميق يتسم بالصراع – الذى يؤدى بدوره إلى خلق تحد بنـائى لمشروعات التنمية .

وفيما يتعلق بالإجراءات المنهجية للدراسة أى المناهج ، والأدوات ، والمجالات الجغرافية ، والبشرية ، وكيفية إختيار حجم العينة . فيمكننا بداية أن نشير إلى أن الباحث قد إعتمد على المنهج المقارن Comparative Method للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين النظم الاجتماعية الأصلية والمستحدثة ، وبخاصة بين مشروعى التنمية فى كل من مصر وغانا باعتبار أنهما النموذجين اللذين وقع عليهما الإختيار ، وأولهما الدراسة تركيزا خاصاً ، كذلك إعتمدت الدراسة على المنهج المقارن فى المقارنة بين الجماعات العرقية فى المجتمع النوبى من جانب ، وبين الأجيال الرئيسية داخل كل جماعة على حدة من جانب آخر .

ولكن المتتبع للدراسة يرى أن الباحث القائم بها قد إستعان بالإتجاه الوصفى ، وليس بالمنهج المقارن كما يشير فى دراسته حيث أنه قد حلل لنا التغيرات البنائية فى المجتمع النوبى ، وصراع الأجيال داخل المجتمع بطريقة وصفية ممتازة . إلا أنه فى جزء آخر من الرسالة (ص ١٧٩) يشير إلى أنه لم يستخدم المنهج المقارن، وإنما إستعان بإسلوب المقارنة للتعرف على أوجه الشبه والاختلاف بين النظم الاجتماعية . وفى نفس الصفحة أيضاً أشار إلى إستخدامه للمنهج الأنثربولوجى وليس للمنهج المقارن . وهذا الخلط الذى وقع فيه الباحث ربما جاء نتيجة ذلك الخلط الملموس لدى المهتمين بمناهج البحوث الاجتماعية ، وعدم الاتفاق فيما بينهم على ما هو المنهج ، **وما هى الاتجاهات** وما هى أدوات البحث ؟

إننا لو إتفقنا كما سبق أن ذكرت فى كل دراسة تم عرضها وتحليلها فى هـذا الكتاب على أن المنهج العلمى تسلكه كل دراسة فى علم الاجتماع . بمعنى أن المنهج هو منهج واحد فى كل الدراسات والبحوث الاجتماعية ، والاتجاهات متعددة : إتجاه تجريبى ، أو إتجاه وصفى ، أو إتجاه تاريخى ... الخ لما حدث هذا الخلط الذى نراه أثناء عرضنا لتلك الدراسات .

ذلك شأن المنهج ، أما عن **أدوات البحث** ، فأحب أن أشير إلى أن أهم ما يميز الرسالة التى تتناولها تنوع وتكامل الأدوات التى إستخدمتها لإختبار فرضيها . **حيث استخدمت ست وسائل وهى .**

١ – **الملاحظة المباشرة أو الملاحظة بالمشاركة أو بالمعايشة :**

Direct or Participant observation ولقد استخدمها الباحث فى مجتمع النوبة فى مشاركته الفعلية مختلف الأنشطة الاجتماعية داخل مجتمع الدراسة ،ومن ذلك المشاركة فى الأفراح ، والمآتم ، والمجالس العرفية ، والأعياد والموالد والاحتفالات الدينية والأنشطة الرياضية ، وعقد الندوات الثقافية المفتوحة لمناقشة المشكلات التى إستجدت فى القرى الحالية . يضاف إلى ذلك تكوين علاقات وثيقة بين الباحث والنوبيين من مختلف الأعمار والمهن ، بحيث إستطاع الإندماج داخل قرى البحث إلى حد كبير طوال فترة الدراسة الحقلية التى تعدت العام . مما يسر له الحصول على معلومات متنوعة ، ودقيقة . عن مظاهر الحياة ، وأنشطة المجتمع المختلفة من مصادرها الأصلية بشكل مباشر .

٢ – **الطريقة الاحصائية** Statistical Technique حيث أسهمت إسهاما أساسيا فى إستخراج العلاقات والإرتباطات اللازمة بين متغيرات الدراسة ،وفى تحليل البيانات الكمية التى دعمت التحليل الكيفى لنتائج البحث . حيث إستخدام الباحث كلا من معامل التوافق ، والإقتران ، وإختبار كا٢ .

٣ – **الإخباريين** Informants إستعان الباحث بالإخباريين كوسيلة مكملة لوسائل البحث ، والإخباريين هم أولئك الأشخاص الذين لهم دراية وخبرة بموضوعات معينة ، وبخاصة ما يتصل بالظواهر والأحداث والنظم التى كانت سائدة فى النوبة قبل التهجير ، مما أتاح للباحث كثيرا من المعلومات عن النوبة القديمة .

٤ – **الطريقة الجنيالوجية** Genealogy Technique وقد استخدم

الباحث هذه الطريقة للمعرفة المتعلقة بنسق القرابة ، والتعرف على نظام الزواج ،والكشف عن معايير توريث الملكية،ومعرفة إنحدار الأسلاف بين الأجيال المختلفة،وقد أفادت هذه الطريقة الباحث فى التعرف على الاتجاهات الحالية التى تحكم النسق القرابى فى النوبة الجديدة ، وتشكيل الخرائط الجنيالوجية التى تبين إنحدار سلسلة النسب فى نماذج من العائلات والقبائل الفاديجية والعربية داخل قرى البحث .

٥ ــ **الأساليب السسيومترية** : Sociometry Techniques وذلك من خلال عدد من الأسئلة السسيومترية ضمن صحيفة المقابلة لقياس العلاقات الاجتماعية بالقرى الجديدة ، ومعرفة ما يدور بالقرية من تجاذب وتنافر وبخاصة فيما يتعلق بالمكانة الاجتماعية Social Status.

٦ ــ **صحيفة المقابلة** : وقد أفادت الباحث فى التعرف على اتجاهات وقيم وتصرفات أعضاء المجتمع ، والكشف عن ما يبطنون من آراء نحو ظواهر المجتمع ونظمه . ويجدر الإشارة هنا إلى أنه ــ أى الباحث ــ قد مكث فى الدراسة الحقلية ثلاثة عشر شهراً،ولقد تم صياغة أهداف وفروض الدراسة الحقلية منذ البداية ، وشرع فى وضع صحيفة المقابلة ، وتم إختبارها ، وإعادة صياغتها بعد تعديل أسئلتها ، وحذف بعضها لعدم الحاجة إليها بعد إختبارها ، وقد أستغرق تطبيق صحيفة المقابلة ثلاثة شهور .

وفى البداية تمت تجربة صحيفة المقابلة على ٢٥ أسرة ، وهم بمثابة ١٠٪ من حجم العينة المقترحة . ولقد اشتملت الصحيفة على سبعة بنود رئيسية هى : **البيانات الأساسية عن المبحوث ، النسق الإيكولوجى ، النسق الاقتصادى ، النسق القرابى ، نسق الضبط الاجتماعى ، النسق التربوى ، وأخيراً نسق القيم** ، وبلغ عدد الأسئلة موزعة على هذه البنود السبعة ١٢٤ سؤالا .

ولقد تحدد المجال الجغرافى للدراسة الحقلية بمنطقة النوبة الجديدة التى

تقع فى النطاق الإدارى لمحافظة أسوان ، ونظراً لأن المجتمع النوبى يتكون من ثلاثة جماعات عرقية أساسية وهى : جماعة الفاديجا ، وجماعة الكنوز ، وجماعة العرب (يضاف إلى ذلك جماعة عرقية رابعة تعتبر جماعة وفدت حديثاً على المجتمع النوبى قبل تهجيره إلى الموطن الجديد ، وهى جماعة الصعايدة) . ومن ثم وقع إختيار الباحث على ثلاث قرى فى منطقة النوبة الجديدة هى : قرية بلانة ، وقرية كلابشة ، وقرية المالكى .

أما عينة الدراسة فقد إلتزم الباحث بإختيارها بالطريقة العشوائية المنتظمة Random Stratified Sample حتى تتاح فرص متساوية لوحدات المجتمع الأصلى ، ولقد تم ذلك على ثلاث مراحل : كانت أولها فحص وتصنيف ببانات الأسر فى قرى بلانة ، وكلابشة ، والمالكى ، وإعتمد الباحث فى ذلك على وثائق وكشوف المسح الاجتماعى الذى قامت به وزارة الشئون الاجتماعية عام ١٩٦٠ لحصر سكان وموارد المجتمع النوبى فى موقعه القديم قبل التهجير ، وكانت المرحلة الثانية هى إستبعاد الأسر التى لا تنطبق عليها الشروط التى وضعها الباحث لإختيار أسر عينة الدراسة الحقلية وهذه الشروط هى : أن تكون الأسر المختارة من بين الأسر التى كانت تقطن بالفعل فى النوبة القديمة ، وتقيم بها إقامة دائمة ، وفى الوقت نفسه أن تكون هذه الأسر مقيمة إقامة دائمة فى النوبة الجديدة أيضاً ، وأن تكون هذه الأسر قد تملكت منازل فى القرى الجديدة ، وأخيراً أن يكون عائل كل أسرة من أسر العينة يعمل فى النطاق الإدارى لمحافظة أسوان ، ويقيم فى القرية المختارة . أما المرحلة الثالثة والأخيرة فكانت إختيار أسر العينة التى ستطبق عليها صحيفة المقابلة المقننة التى صممت لذلك ، وقد تم ذلك وفقاً لمعايير السن ، والمهنة ، والحالة الزواجية ، وموقع المنزل على خريطة القرية الجديدة . ولقد أختيرت العينة فى النهاية بنسبة ١٠٪ فى المتوسط من إجمالى عدد الأسر فى كل قرية من القرى الثلاث مجال البحث ، وطبقاً لذلك تم إختيار مائة أسرة من قرية بلانة ، وخمسين أسرة من قرية كلابشة ، وخمسين

أسرة أيضاً من قرية المالكى ، وقد قام الباحث بإختيار خمسين أسرة أخرى من أسر جماعة الصعايدة من قرية بلانة نظراً لأن هؤلاء الصعايدة يشكلون ما يقرب من خمس سكان بلانة — وبذلك تصبح عينة الدراسة الحقلية هى ٢٥٠ أسرة .

وحيث أن أحد أهداف الدراسة تحليل الصراع القائم بين الأجيال المختلفة فى المجتمع النوبى ، ولذلك فقد قسم الباحث الهيكل الديموجرافى فى المجتمع إلى ثلاث فئات رئيسية ، هى : **جيل الشباب** وهم أرباب الأسر الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة ، **وجيل متوسطى العمر** وهم أرباب الأسر الذين تتراوح أعمارهم ما بين ٣٠ سنة إلى أقل من ٥٠ سنة ، **وأخيراً جيل كبار السن** ويقع أعضاؤه بين خمسين سنة فأكثر . وفى ضوء ذلك تم توزيع عينة البحث بين هذه الأجيال الثلاثة . وبذلك أصبح جيل الشباب ٢٠٪ من حجم عينة الدراسة الكلية ، وجيل متوسطى العمر ٥٠٪ ، وكبار السن ٣٠٪ .

هذا عن الإجراءات الميدانية للدراسة أفضنا فيها الكثير لإعتقادنا أن ما يميزها عن غيرها من الدراسات هى فى تنوع إختيار الأدوات ، والعمق فى المعايشة مع مجتمع الدراسة ، والدقة فى إختيار العينة .

وفيما يتعلق بنتائج البحث فيمكن أن نقسمها الى محورين ، وذلك على النحو التالى :

١ — **نتائج خاصة بإختبار الفرض الأول** حيث توصل الباحث من خلال دراسته الحالية إلى أن أعضاء المجتمع النوبى يناهضون الوضع الجديد أو الحالى ، ويرفضون التفاعل معه ، ويقاومون كل صور التغيير التى تمس نظمهم وروابطهم الاجتماعية ، ولا يعترفون بالوضع الجديد على أنه أمر حتمى ونهائى ، ومن هنا فإن التغير المخطط الشامل الذى قصده المخططون لم يحقق أهدافه فى حياة مستقرة لهؤلاء الناس ، ونهوض بمستواهم الاقتصادى وتحسين ظروف المعيشة بوجه عام . وفيما يتعلق بهذا فقد خرجت الدراسة

بمجموعة من الإرتباطات تؤكد تحقيق الفرض الأول من فروض الدراسة، وذلك على النحو التالى :

– **رفض الوضع الحالى والرغبة فى العودة إلى النوبة القديمة**، وإن كان هذا الرفض منعدم تماماً بالنسبة لمجموعة الصعايدة ، وهى المجموعة الضابطة، بينما نجد أن الإرتباط قوى جداً لدى الفاديجا ، والكنوز، والعرب فى الرغبة للعودة .

– **عدم التكيف مع الظروف الجديدة** ، وقد بلغ معامل الإرتباط قوياً وواضحاً فى عدم تكيفهم مع الظروف الاقتصادية والإيكولوجية الجديدة لما فيها من عيوب شتى قياساً بظروف النوبة القديمة المناظرة للظروف المستحدثة . فى الوقت الذى استطاعت فيه مجموعة الصعايدة التكيف مع الأوضاع الجديدة نظراً لما طرأ على مكاناتهم الاجتماعية من إرتفاع كبير ، وتحسن ظاهر فى كل ظروفهم بعد أن كانوا يشتغلون عمالا بالأجر فى النوبة الأصلية .

– **عدم وجود مميزات فى القرى المخططة** . إذ أنه نتيجة لسخطهم على الوضع الحالى يعتقدون أنه لاتوجد مميزات فى القرى الجديدة تساوى تركهم لديارهم وتراثهم وهجرتهم إلى ظروف أقل من ظروفهم السابقة ، ويتصل بذلك عدم تقديرهم لتوافر الخدمات : التعليمية ، والصحية، والاجتماعية، والترفيهية وغيرها من الخدمات التى أتيحت فى القرى الجديدة . لذلك يعتقدون أن – جميع هذه الخدمات ليس لها قيمة ما دام مصدر الرزق الأساسى ، وهو الأرض الزراعية محدودة جداً ، وغير خصبة ، وبعيدة عن قراهم ، وبالتالى لاتوفر لهم القوت الأساسى .

– عدم الحصول على أى فوائد نتيجة تهجيرهم حيث أنهم لايعتقدون أنهم قد حصلوا على فوائد ومميزات نسبية نتيجة للمشروع بأكمله ، على حين يعتقد الصعايدة أنهم حصلوا على فوائد ومميزات لاتضاهى بأوضاعهم

فى النوبة الأصلية ، فقد أصبحوا ملاكا وأصحاب منازل ، وفى وسط أهلهم ومجتمعاتهم الصعيدية .

تلك النتائج التى خرج بها الباحث تفيد تحقيقه للفرض الأول ، وتشير فعلا إلى إنفصال النموذج التخطيطى عن البناء الاجتماعى للمجتمع النوبى ، وعدم أخذه فى الإعتبار ، وإغفال إشتراكهم فى التخطيط منذ البداية ، والإعتماد على دراسات سطحية ، والإستناد إلى بيانات لا تعبر عن الواقع الاجتماعى للمجتمع النوبى ، وقد أدى كل ذلك إلى خلق مشكلات بارزه تمثلت فى مقاومة النوبيين للأوضاع الجديدة .

٢ ـ نتائج خاصة بإختبار الفرض الثانى :

ـ أن جيل الشباب أكثر تمسكاً بالنوبة الجديدة ، وأوثق إرتباطاً بما فيها من خصائص وسمات إيكولوجية ، واقتصادية ، وتربوية . دون أن يشغل تفكيره كثيراً بالنوبة القديمة ، أما جيل متوسطى العمر هو أكثر الأجيال الثلاثة تمزقاً واضطراباً فى مجتمع النوبة الجديدة ، ويرجع ذلك إلى أن هذا الجيل قضى فترة الشباب المبكر فى النوبة القديمة ، وبالتالى فإنه يعى تماماً ما كانت عليه أوضاعهما ، ثم انتقل إلى الموطن الجديد ليتحمل أغلب أعباء وتبعات الأنشطة المختلفة ، نظراً لأنه وحدة الجيل المهيأ والناضج لتحمل تلك المسئوليات . ونأتى إلى جيل كبار السن نجد أنه الجيل الذى قضى الجانب الأكبر والفعال من عمره فى النوبة القديمة بكل خصائصها وظروفها البيئية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وهو لذلك جيل يرفض كل ما حدث من تهجير ، وبناء قرى جديدة ، وإدخال مشروعات تنمية وخدمات متكاملة ، ويحيا الآن فى شبه عزلة عن بقية الأجيال الأخرى .

ـ أن التغير الحادث فى المجتمع النوبى فى الوقت الحاضر يتسم بالشمول . أى أنه يشمل جميع الأنساق ، والنظم الاجتماعية التى يتألف منها البناء الاجتماعى .

– أن هناك أنساقاً ونظماً قد أصابتها تغيرات جذرية وعميقة أكثر من غيرها كما هو الحال، فى الأنساق الإيكولوجية ، والاقتصادية ، والتربوية .

– يتسم التغير البنائى فى المجتمع النوبى بالسرعة والعنف ، ويرجع ذلك إلى عمليات التهجير العنيف والقهرى الذى حدث لأفراد المجتمع ، وقد دعم ذلك غربة النموذج التخطيطى عن واقعهم الثقافى الذى كانوا يقيمون فيه فى النوبة القديمة . وقد أدى ذلك إلى إتساع الهوة بين البناء الاجتماعى التقليدى للمجتمع النوبى القديم ، وبين البناء الاجتماعى الخيالى فى النوبة الجديدة . وقد زاد من اتساع هذه الهوة النسق التربوى بمتغيراته ونظمه .

– يتسم البناء الاجتماعى فى المجتمع النوبى الجديد « بالخلل وعدم الإنسجام ، ويتمثل ذلك فى عدم التجانس والإتساق فى العلاقات الاجتماعية التى تسود المجتمع فى وضعه الحالى ، ولذلك يبدو المجتمع ممزقاً ومتناقضا ومنقسما على نفسه : بين تقليدى قديم ، وجديد وافد .

– يتسم البناء الاجتماعى فى المجتمع النوبى الجديد بصراع الأجيال ، ويعكس ذلك الصراع الاتجاهات ، والقيم ، وأنماط السلوك ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية المتعارضة والمتناقضة داخل المجتمع بوضعه الحالى . فالصراع بين الأجيال فى ذلك المجتمع صراع بنائى . بمعنى أن كل جيل من أجيال المجتمع تتحكم فى تصرفاته ، وعلاقاته ، وأساليب سلوكه مجموعة من التصورات والقيم والمعايير التى تهدف إلى إستقطاب بقية أجيال وأعضاء المجتمع للإلتفاف حوله .

– يتميز صراع الأجيال فى المجتمع النوبى بالصراع البنائى الرأسى بمعنى أنه صراع داخل الجماعة العرقية الواحدة ، كجماعات الفاديجا ، أو الكنوز أو العرب . ولقد خلق الواقع الجديد نمطاً آخر من الصراع ، أطلق عليه الباحث الصراع البنائى الأفقى وهو الصراع الذى يحدث بين الجماعات العرقية المتمايزة لغوياً وثقافياً داخل إقليم واحد يضمهم جميعاً فى الموطن الجديد دون أية فواصل إيكولوجية . وقد تولد هذا الصراع البنائى الأفقى

نتيجة لما حظيت به كل جماعة عرقية من مواقع ، أو أرض ، أو مكانة سياسية من عدم ذلك فى الموطن الجديد . وقد ضاعف من هذا الصراع تحكم جماعة الصعايدة فى الفائض الاقتصادى ، أو فى قوة العمل الضاربة .

خلاصة القول أن ذلك الصراع البنائى سواء الرأسى منه أو الأفقى قد أثر تأثيراً واضحاً على عملية التنمية . بل أنه يمثل التحدى الحقيقى للتنمية فى المجتمع النوبى ، فالتنمية تتطلب قدراً من الإستقرار ، والتماسك الاجتماعى Social Solidarity ولكن الوضع فى النوبة كان عكس ذلك تماماً . إذ انصرف أعضاء المجتمع عن المشاركة الشعبية Social participation فى التنمية ، وتحولوا إلى مناهضتها ، نظراً لارتباطها فى هذه الحالة بالتفكك والصراع الاجتماعى الذى تزامن معها .

٣ ـ كانت أهم الملامح التى اتسمت بها التحديات الاجتماعية فى كل من مشروعى الفولتا والنوبة على السواء ، متشابهة إلى حد كبير ، وهذه أهم أوجه التشابه بين المشروعين :

(أ) عدم إتاحة المشاركة الاجتماعية الفعلية للسكان .

(ب) عدم إستقرار وتماسك هذه المجتمعات المحلية فى الموطن الجديد .

(جـ) عدم تنوع مصادر الإنتاج بما يحقق الإكتفاء الذاتى ، والفائض الإنتاجى .

(د) عدم حدوث أى زيادة فى الإنتاج ، أو إرتفاع فى الدخل .

أما عن إسهامات الدراسة الراهنة فتتركز فى الإنتهاء إلى نموذج تحليلى لدراسة التحديات الاجتماعية لتخطيط التنمية ، وإبراز دور النسق التربوى . إذ أنه يعلب دوراً فعالا وأساسياً فى تجارب ومشروعات المجتمعات المحلية المخططة ، كذلك أبرزت الدراسة مايسمى بصراع الأجيال الأفقى والرأسى . ورابع تلك الإسهامات يتمثل فى ضرورة **أن تقوم مشروعات المجتمعات المخططة على أساس دراسات وبحوث ميدانية واقعية متباينة لكل الظروف**

والمتغيرات البيئية والاقتصادية والثقافية للسكان ، وأخيراً الدعوى إلى صياغة فرع جديد يطلق عليه أنثروبولوجيا التنمية .

ويمكننا بعد الإنتهاء من عرضنا التحليلى النقدى لهذه الدراسة أن نعود مرة أخرى إلى صياغة مشكلة البحث لنتساءل . • لماذا لاتكون صياغة مشكلة البحث : « التحديات الاجتماعية لنماذج من المجتمعات الإستيطانية المحلية المخططة فى أفريقيا » ؟ إذ أن عنوان موضوع البحث يضلل القارىء حيث يعكس بصورة مباشرة أن القائم بالدراسة سيتناول التحديات الاجتماعية للتنمية الاجتماعية ، مع الإشارة إلى بعض نماذج من المجتمعات المحلية المخططة . أما العنوان الذى نقترحه فيعطى للقارىء صورة واضحة عن التناول العلمى الموضوعى للدراسة .

أما عن نتائج الدراسة فهى نتائج تعكس بصدق كبير دقة وإمكانيات الباحث فى تحقيق فروض دراسته ، وبالتالى تحقيق الأهداف التى رسمها منذ البداية إلا أننا نأخذ عليه ، وبخاصة فى النتائج المتعلقة بتحقيق الفرض الأول أنها كانت نتائج عامة . حيث أشار إلى أن أعضاء المجتمع النوبى يناهضون الوضع الجديد أو الحالى وكان مفروضاً أن يربط هذا الرفض بفئات المجتمع الثلاث : الشباب ومتوسطى العمر ، وكبار السن .